من أعلام الجغرافيا البحرية العثمانية

محيي الدين بيري ريس

د. رابحة محمد خضير

قسم التاريخ / كلية الآداب

جامعة الموصل

الاستلام	القبول
٢١ / ١٢ / ٢٠٠٨	٠٦ / ٠٤ / ٢٠٠٩

Abstract

The Ottoman interest of naval geography raised by the beginning of the Ottoman State, and this interest increased after the Portuguese-Spanish imperial attack on the Islamic State in Andalusia. So…, in the name of the naval Jihad, the Ottoman State roused by its naval leaders to save the Muslims in Andalusia from their ordeal. Among them was the famous leader "Muhyyi Al-Deen Beeri Reess" who had a wide experience in naval geography acquired through his great education and knowledge in multi-languages which allowed him to know widely most things of sea sciences, in addition to his capability in naval jihad. All these characteristics enable him to present important achievements in naval geographic domain which represented in drawing two maps of the world, where they considered as one of the ancient and precise well-known maps till now. Beeri Reess also composed the most important geographical classification called "The Naval" which was important because of the huge information found in it. This book contains precise details about the shores, coasts and the naval streams that had been reached by him. Therefore, this study has been made to explain the distinguish effort exerted by the Ottoman sailor man and what he had left of important geographical heritage in naval geographical domain from which the world exploited, particularly, such studies as well as the research in this domain are very few.

المقدمـة

برز الاهتمام العثماني بالجغرافية البحرية منذ وقت مبكر من نشوء الدولة العثمانية، وازداد هذا الاهتمام بعد الهجمة الاستعمارية . الأسبانية والبرتغالية . على بلاد المسلمين في الأندلس، فانتفضت الدولة العثمانية بأسم **الجهاد البحري** وعلى يد قادتها البحريين لإنجاد مسلمي الأندلس من محنتهم، وقد برز منهم أحد كبار قادتها البحريين وهو محيي الدين بيري ريس الذي تميز إلى جانب جهاده البحري، بخبرته الواسعة في الجغرافية البحرية والتي اكتسبها من خلال ثقافته الواسعة ومعرفته لعدد من اللغات التي أكسبته القدرة على الاطلاع الواسع على علوم البحار والتي مكنته من تقديم انجازات مهمة في مجال الجغرافية البحرية والتي تمثلت في رسمه لخريطتان للعالم، حيث اعتبرت من أقدم وأدق الخرائط المعروفة لحد الآن . كما وضع بيري ريس أهم مصنف جغرافي له والمعروف بكتاب **(بحرية)** والذي جاءت أهميته من الم علومات الواسعة الموجودة فيه، حيث ضمَّ تفاصيل دقيقة عن كل السواحل والشواطئ والممرات البحرية التي كان قد وصل إليها بيري ريس، لذلك جاءت هذه الدراسة لتبين الجهد المتميز الذي بذله هذا البحار العثماني، وما خلفه من ارث جغرافي مهم في مجال الجغرافية البحرية استفاد منه العالم، ولاسيّما وإنّ مثل هذه الدراسات قليلة، والبحث في مثل هذا المجال قليل أيضاً.

شخصيته:

عني العثمانيون بالجغرافية البحرية عناية كبيرة منذ وقت مبكر، وازدادت تلك العناية مع اشتداد وطأة الهجمة الاستعمارية . البرتغالية والأسبانية . على سواحل البلاد الاسلامية في بداية القرن السادس عشر الميلادي . وقد استطاع بحارة عثمانيون أن يواجهوا هذه الهجمة آنذاك، واستطاع آخرون أن يصلوا إلى المحيط الأطلسي ويبلغوا بحر الهند ويرسموا خرائط تلك السواحل[١]، وبرز منهم في ذلك المجال البحّار العثماني محيي الدين بيري ريس الذي قدّم إنجازاً جغرافياً هاماً أفاد العالم كلّه[٢]، تمثل في رسمه خريطة للعالم وفي وضعه لكتاب **(بحرية)**.

وبيري ريس هو محيي الدين بن الحاج محمد، ويذكر محيي الدين بيري ريس أن والده يُدعى حاجي حقيري، ويظهر أنه (لقب)، وقد كان الاسم المركب بيري محمد مألوفاً في القرن السادس عشر الميلادي، وهو عَلَم يُنادى به محيي الدين[٣]. ولا يوجد تاريخ دقيق لسنة ولادته إلاّ أنه وُلِدَ على الأرجح بين عامي ١٤٦٥ أو ١٤٧٠ في مدينة غاليبولي الواقعة على بحر مرمرة وهي قاعدة بحرية عثمانية، وكانت المركز الاداري للأسطول العثماني آنذاك [٤]. ويذكر المؤرخ يلماز اوزتونا أنه من عائلة قره مانيه (قونية)[٥]، بينما تشكك بعض المصادر في أصله التركي الخالص، وتشير إلى أنه كان نصرانياً وربما يكون من أصل يوناني[٦].

ومهما يكن من أمر فإنّ بيري محيي الدين ر يس هو بحار وجغرافي عثماني، بل يُعدّ واحداً من أبرز الملاحين الذين قدّمهم العثمانيو ن للعالم، لِما حققه من انجازات كبيرة في مجال علوم البحار والجغرافية، فضلاً عن دوره الجهادي الكبير في حوض البحر المتوسط والخلي ج العربي. وتكمن انجازات محيي الدين بيري ريس الهامة في الخرائط التي وضعها والتي تظهر الأجزاء المكتشفة في العالم [٧]، فضلاً عن كتابه **(بحرية)** الذي حوى على أدق المعلومات عن البحار في ذلك الزمن.

قضى محيي الدين بيري ريس السنوات الأولى من حياته في مدينة غاليبولي، وعندما بلغ الثانية عشر من عمره التحق بطاقم خاله كما ل ريس [٨]، وخاض العمليات البحرية مدة اربعة عشر ع اماً في غرب البحر المتوسط، وقام بدور كبير في مساعدة مسلمي الأندلس وصد هجمات البرتغاليين والأسبان [٩]. واستمر محيي الدين بيري ريس في جهاد هتحت راية الدولة العثمانية حتى تاريخ إعدامه عام ١٥٥٤ [١٠].

انجازات محيي الدين بيري ريس :

١) خريطتا العالم :

رسم محيي الدين بيري ريس خريطتين للعالم، الأولى رسمها في غاليبولي عام ١٥١٣ م، حدد فيها كل من أسبانيا وغرب أفريقيا والمحيط الأطلسي والسواحل الشرقية في الأمريكيتين [١١]، بسواحلها وجزرها وموانئها وحيواناتها وسكانها الهنود الحمر الذين رسمهم وهم يرعون الغنم [١٢]، فضلاً عن رسمه لفيلة ونعامات وجدت في الجزء الخاص بقارة أفريقيا [١٣].

ويذكر محيي الدين بيري ر يس في الشروح القصيرة التي وضعها على خريطته الأولى، أنه حين أعدّها أف .اد من أربع وثلاثين خريطة أخرى [١٤]. ومما لا شك فيه أن قيامه بجمع المعلومات القديمة ومتابعة التطورات الجديدة ، ثم قيامه بوضع أفكاره ومشاهداته إنما يدلل على المنحى العلمي الذي نحاه محيي الدين بيري ريس [١٥].

وقد قدّم خريطته هذه إلى السلطان سليم الأول (١٥١٢م . ١٥٢٠م) أثناء وجوده في مصر عام ١٥١٧م [١٦]، ثم حفظت بعدها في قصر السلطان ولم يكشف عنها إلاّ على يد عالم الآثار التركي خليل اد هم الذي عثر عليها بمكتبة السراي في استانبول، وهي ذات ألوان زاهية مرسومة على ورق قياس ٦٠ × ٨٥ سنتمتراً [١٧]، وعليها توقيع محيي الدين بيري ريس [١٨].

أما بالنسبة لخريطته الثانية فقد حدد عليها سواحل الأطلسي من جروتلاند إلى فلوريدا، وكانت بقياس ٦٨ × ٦٩ سنتمتراً، وهي موجودة في متح ف طوب قابي باستانبول [١٩]، وأهم ما يميز هذه الخريطة أن الجزر وبعض الشواطئ رسمت بشكل يقرب إلى الواقع أكثر من الخريطة الأولى [٢٠]. وقد تدارك محيي الدين بيري ريس الأخطاء التي وقع فيها في خريطته الأولى فأثبتها

في الخريطة الثانية مستعيناً على ذلك بخريطة كولومبس، حتى أنه تحدث في مقدم ة كتابه **(بحرية)** . الذي سنتحدث عنه لاحقاً . ولأول مرة عند العثمانيين ع ن اكتشاف كرستوف للقارة الأمريكية، فقد كان شغوفاً بالتعرف على الكشوف التي وقعت في عصره[٢١].

كما وضع على الخريطة الثانية أربع زهور استخدمها كمؤشر على الخريطة يبّين فيها جهة هبوب الريح وشدّتها، وبيّن على الخريطة أيضاً مدار السرطان الذي لم يوضح في الخريطة الأولى، فضلاً على ذلك وجد على الخريطة الثانية مقياس الرسم بالأميال وقد وضّحت كل الأجزاء التي كانت بدورها مقسمة إلى عشرين جزء اً بحيث قدّرت المسافة بين هذه الأجزاء بخمسين ميلاً ، أما المسافة بين نقطتين فقدرت بعشرة أميال، وهذا الأمر جعل مقياس الرسم للخارطة الثانية اكبر مما هو موجود على الخارطة الأولى[٢٢].

وفي عام ١٩٢٩ اطّلع المستشرق الألماني Kahla على خريطة محيي الدين بيري ريس المحفوظة في طو ب قاي باستنابول، وأجرى عليها دراسة تحليلية علمية دقيقة استغرقت سنوات عديدة، ثم قام بنشرها على العالم[٢٣].

أثارت خارطة محيي الدين بيري ريس الأولى ج دلاً كبيراً بين العلم اء، وتضاربت آراؤهم حولها، فمنهم من ذك ر أن التفاصيل الجغرافية الموجودة على الخريطة مكتوبة بالتركية ولكن نطق الأسماء يكون بالايطالي، وقد استند صاحب هذا الرأي في ذلك على أن محيي الدين بيري ريس كان قد عمل مع الايطاليين فترةً ما واستفاد منهم [٢٤]. بينما ذكر آخر أن الخرائط التي رسمها محيي الدين بيري ريس رسمها اعتماداً على الخرائط التي أعدها الأوربيون وعلى مجموعة الخرائط التي تحتوي على تلك المعارف الأولية حول **(العالم الجديد)**[٢٥].

وبيّن آخر أن محيي الدين بيري ريس قد ذكر على طر ف خارطته في الجزء الخاص بأمريكا الجنوبية أنه اقتبس رسم خارطته وما ورد فيها من سواحل وجزر وأماكن من خريطة كولومبس الذي اكتشف هذه الأ ماكن[٢٦]، وأن محيي الدين بيري ريس تمكن من الحصول على خريطة كولومبس أثناء معركة بحرية بينه وبين الأسبان ، وقد استفاد من كل المعلومات المتعلقة برسم الخريطة والوثائق التي تتناول خرائط ذلك العصر، ولاسيّما وأن محيي الدين بيري ريس كان يجيد اللغة الأسبانية واللاتينية والبرتغالية[٢٧].

لقيت الآراء التي طُرحت حول خارطة محيي الدين بيري ريس معارضة شديدة من لدن كثير من الباحثين الذين وجدوا أن خارط ته فيها تفاصيل لأماكن لم يعرفها كولومبس نفسه، ولم يكشفها أيضاً، لكن الباحثين في وقته ا لم يقدموا تعليلاً بديلاً يكشف سر هذ ه الخارطة الغامضة[٢٨]، إلاّ أن الدراسات والتقارير الحديثة أثبتت قدم خارطة محيي الدين بيري ريس عن غيره.

وإذا أردنا أن نربط بين عمله مع خاله كما ل ريس والأماكن التي حددها محيي الدين بيري ريس على خارطته ولم يكشفها كولومبس نقول أنه ربما قد استفاد من الجغرافيين العرب

المسلمين، ولاسيّما مسلمي الأندلس، لأنه كان على احتكاك مباشر بهم أثناء عمله مع خاله كمال ريس الذي كان يقوم بمساعدة مسلمي الأندلس الفارين إلى المغرب العربي . وقد ظهر في الأندلس عدد كبير من العلماء العرب الذين أشاروا إلى وجود أرض خلف بحر الظلمات ومنهم العالم العربي أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري أعظم جغرافي عرفته الأندلس، والإدريسي وشهاب الدين أحمد بن ماجد في كتابه **(الفوائد في أصول علم البحر والقواعد)** وغيرهم من الجغرافيين المسلمين (٢٩)، ويشير أحد المصادر أن هناك العديد من الملاحين العرب قد وصلوا إلى سواحل أمريكا والتقوا بأشخاص عرب هناك(٣٠).

وقد ورد تفسير آخر لخارطة محيي الدين بيري ريس يقول : ((أن محيي بيري ريس قد نقل خارطته عن طريق أبي عبد الله الذي كان آخر حكام العرب في الأندلس، وعندما هزمته إيزابيلا أبقته في خدمتها ثم أمرته بقيادة حملة بحرية إلى أ مريكا لاعتقال كولومبس وإرجاعه إلى أسبانيا مقيّداً بالسلاسل و بذلك يكون أبو عبد الله العربي أول من رحل إلى أمريكا بعد كولومبس مباشرةً، ولابد أنه قد عاد من هناك بخرائطه الخاصة وغير بعيد أن يكون محيي الدين بيري ريس قد ذهب إلى أمريكا بنفسه مع أبي عبد الله الذي كان صديقه حينما أرسله السلطان العثماني لمعاونته في حربه مع إيزابيلا عام ١٤٩٠ قبل سقوط عرشه))(٣١). إلاّ أنّ الواقع يثبت أن محيي الدين بيري ريس لم يذهب إلى هناك ، لأنه في تلك الفترة كان يعمل مع خاله كمال ريس.

ربما أن محيي الدين بيري ريس قد اطلع على كتابات هؤلاء بما يمتلكه من خبرة في علوم البحار والطرق والمسالك ، فتمكن من وضع هذه الخارطة التي اعتبرت أمراً خارقاً للعادة حيث وصفها (اريك فان) في كتابه **(عربة الآلهة)** بأنها من وضع أشخاص غرباء من العالم الخارجي، ولاسيّما أن هذه الخارطة عدّها مؤلف الكتاب أكبر من قابلية الرجل القديم، فلابد أنه حصل على مساعدة من الفضاء الخارجي، حتى أنه سمّاها المصنوعات اليدوية (٣٢). كما يذكر ((أن هؤلاء الزوار الأجانب أصحاب الأطباق الطائرة عندما هبطوا على الأرض رسموا أشكال الخرائط التي رأوها للدنيا وهم في الفضاء على أحجار الأرض، وبطريقة ما حصل محيي الدين بيري ريس على هذه الخرائط التي ما أن رآها حتى هتف أجل هذه هي أمريكا، ثم قام باستنساخها ووضع أسماء تركية عليها مدعياً أنه ذهب ورأى ورسم))(٣٣).

على ما يبدو أن هذا الكتاب ملئ بالخرافات ، فقد تم عرض بعض النقوش التي أدعى مؤلف الكتاب أن محيي الدين بيري ريس استقى معلوماته منها، وعرضت في المعارض، إلاّ أن تلفزيون BBC أشار إلى أن هذه النقوش صنعت من أناس محترفين وبايعاز من بعض الجهات، وبذلك اعتبرت تلك الأحجار من الأدلة الزائفة (٣٤). وعلى هذا فالكتاب لا يعول عليه، وإن تمَّ الترويج له في شبكات الأنترنيت.

وعلى الرغم مما ذكر فقد كان محيي الدين بيري ريس على معرفة بوجود أمريكا قبل اكتشافها، وقد ذكر ذلك في كتابه **(بحرية)** ((أن بحر المغرب [المحيط الأطلسي] بحر عظيم يمتد بعرض ٢٠٠٠ ميل باتجاه الغرب من سبته، وفي طرف هذا البحر العظيم توجد قارة هي قارة انتيليا))، وقد كتب محيي الدين بيري ريس أن هذه القارة التي اكتشفت عام ٨٧٠ هـ / ١٤٦٥ م أي قبل اكتشاف كولومبس أمريكا بحوالي ٢٧ عاماً[٣٥]. وقد عرفها العثمانيون قبله ، ويذكر عباس حمدان في بحثه أن العثمانيين كانوا مدركين ومهتمين باكتشاف العالم الجديد منذ وقت مبكر جداً حتى أن محيي الدين بيري ريس قد ذكر ذلك على خارطته وسمى انتيليا بـ (ولاية انتيليا) أو فيلايت انتيليا Vilayet Antilia وهذا المصطلح يطلق عادةً على الوحدة الادارية للدولة العثمانية[٣٦]، إلاّ أنه لا يوجد لدينا من الوثائق ما يؤكد ذلك.

ومن الجدير بالذكر أن خادم الريس كمال الدين يُدعى ردريكو [٣٧]، الذي اعيرت خدماته لكولومبس وهو صاحبه في رحلته المشهورة وقف يتوسط بين كولومبس وبحارته الذين أرادوا الاعتداء عليه بعد اليأس الذي أصابهم من البحث عن أمريكا قال ردريكو : ((لابد أن تكون في هذه المياه ارض، لأني تعلمت هذا في استانبول ومن الكتب البحرية العثمانية، واثق أننا لابد أن نصل هنا إلى الأرض التي نبحث عنها، ذلك أن البحارة العثمانيون لا يقدمون معلومات خاطئة وهم لا يكذبون))[٣٨]. وهذا دليل على أن المسلمين سواء كانوا العرب أم العثمانيين كانوا يعلمون بوجود أمريكا قبل اكتشاف كولومبس لها، وقد دوّن ذلك محيي الدين بيري ريس على خارطته فذكر أن اكتشاف أمريكا عام ١٤٦٥، وقد كانت هذه حسب المعلومات والملاحظات التاريخية المستقاة من خريطة مسجلة ضمن الممتلكات العثمانية تحت اسم انتيليا منذ التاريخ المذكور[٣٩].

يتضح ممّا سبق أن خرائط محيي الدين بيري ريس من أقدم وأدق الخرائط التي رُسِمَتْ في تلك الفترة، والدليل على ذلك إعجاب علماء الخرائط في أمريكا وأوربا في القرن العشرين، حيث اعتقد هؤلاء العلماء في بداية الأمر بعدم دقة المعلومات التي أوردها محيي الدين بيري ريس، لكنهم فوجئوا بعد ظهور أول صورة مأخوذة من القمر الصناعي لهذه المناطق. أن خرائط محيي الدين بيري ريس أدق من كل ما عرفوه وتصوروه وأنها تضاهي صور القمر الصناعي وأن معلوماتهم هي التي كانت خاطئة [٤٠]. والدليل الآخر على دقتها ما ذكره الراهب الجزويتي (لاين هام) مدير مركز الارصاد في ولاية ويستون: ((أن خرائط محيي الدين بيري ريس صحيحة بدرجة مذهلة للعقل، لاسيّما أنها تظهر بوضوح أماكن لم تكن اكتشفت حتى أيامه في القرن السادس عشر الميلادي، ان الجانب المذهل في مكانة محيي بيري ريس هو رسمه لجبال انتاركتيكا [أي القارة القطبية الجنوبية] بتفاصيلها فيما رسمه من خرائط مع أن هذه الجبال لم يكن أحد قد تمكن من اكتشافها إلاّ عام ١٩٥٢))[٤١].

كما أن الدراسات التي أجريت على الخريطتين، توصل أصحابها إلى حقيقة أن الخريطتين تكمل إحداهما الأخرى، وقد تكونان أقدم خريطتين رُسمتا لأمريكا، حيث يمكن من

خلالهما مشاهدة الساحل ا لشرقي للعالم الجديد من جنوب جري نلاند Greanland إلى البرازيل نزولاً، حتى أنه م ذهلوا عندما وجدوا أن هذه الخرائط قد رُسمت الساحل وجزيرة هاييتي بدقة بالغة(٤٢).

وقد أكد فريق من العلماء في وكالة الفضاء الأمريكية حينما عكفوا على دراسة خرائط محيي الدين بيري ريس مقطعاً مقطعاً بعد تكبيرها عدة مرات، فكانت المفاجأة ((أن محيي الدين بيري ريس قد وضع في خرائطه القارة السادسة في القطب الجنوبي والمسماة Antartica قبل اكتشافها بأكثر من قرنين ... حتى أنه وصف جبالها ووديانها التي الم تكتشف حتى عام ١٩٥٢)) (٤٣) كما ذكرنا ذلك فيما سبق.

وفي عام ١٩٥٧ وهو العام الذي عدّ عام الجغرافيا الدولية ، اجتمع فريق من علماء الجغرافية بالمراصد الكبرى والبحرية الأمريكية لإجراء مزيد من الدراسة والتدقيق على خرائط محيي الدين بيري ريس باستخدام أجهزة متطورة، فوجدوا أن الصورة التي وضعها محيي الدين بيري ريس عن القارة السادسة Antartica في عصرنا الحاضر ... فالجبال على قارة القطب الجنوبي لم تستكشف حتى عام ١٩٥٢ وهي دائماً مغطاة بطبقة سميكة من الثلوج بحيث أن اكتشاف وجودها على خرائطنا الحديثة كان باستعمال أجهزة صدى الصوت(٤٤).

وأخيراً جاء اكتشاف الخارطة الأولى من أحد الباحثين الأتراك ويدعى خليل ادهم، وهذا ينفي ما زعمه المؤرخ برنارد لويس في كتابه الأخير **(ما الخطأ الذي حدث)** أنّ مستشرقاً ألمانياً هو الذي اكتشف الخريطة، متهماً المسلمين بالاهمال وعدم الاهتمام بالعلوم التي خلّفها أجدادهم (٤٥). إذن كل هذه الدراسات والأبحاث التي أجريت على خرائط محيي الدين بيري ريس ما هي إلاّ دليل واضح على مدى دقة ما موجود فيها قياساً على غيرها من الخرائط المتعارف عليها في ذلك الوقت، وهذا دليل على أن البحارة المسلمين كانوا ولا زالوا يمتلكون خبرة بحرية وإرثاً جغرافياً عريقاً فلق عمل الأوربيين أنفسهم.

٢) كتاب (بحرية) :

لم يكتفِ محيي الدين بيري ريس بما أعدّه من خرائط للعالم، وإنّما قام بتأليف كتاب دوّن فيه كل ملاحظاته وخبرته البحرية أسماه ((**بحرية**)) بدأ كتابته في عام ٩٢٧هـ / ١٥٢٠ . ١٥٢١ م في مدينة غاليبولي أيضاً، وبعد إتمامه في عام ١٥٢٣ قدّمه هدية للسلطان سليمان القانوني(٤٦). الذي كان يدعم أهل العلم والمعرفة، ممّا شجع الكثيرين للعمل بكل همة لينالوا الشهرة والمكانة لإخراج المؤلفات في شتى الأقسام وشتى العلوم وكان منهم محيي الدين بيري ريس(٤٧).

يصف كراتشوفسكي **كتاب بحرية** بأنه ((يمثل في أساسه أطلساً ملاحياً، إلاّ أنه كان يستهدف أن يكون دليلاً للملاحة الشراعية في بحر إيجة والبحر المتوسط، وأن يستخدم في الوقت نفسه مرشداً في معرفة المواضع المبينة على الخارطات، ولهذا السبب فإن محيي الدين

بيري ريس يقدّم وصفاً مفصلاً بما فيه الكفاية لجميع السواحل مع بيان التيارات والشُعَبْ والمراسي والخلجان والمرافئ ومنابع المياه العذبة والمواضع المحصنة والقلاع والمباني والخرائب، كما يتعرض خلال ذلك الحديث عن الجغرافية السياسية والوضع الإداري للأماكن المختلفة))[٤٨].

وكتاب بحرية يحمل تجربة ثلاثين عاماً من الم ران العلمي في الشؤون البحرية والاطلاع الواسع على الآداب الجغرافية العربية والغربية[٤٩]. كما قدّم كتاب بحرية معلومات عن الأدرياتيك والأحوال الطبيعية والجوية [٥٠]، فضلاً عن أن الكتاب يعتبر أول كتاب يحوي معلومات تفصيلية عن موانئ المغرب العربي [٥١]. وقد دوّن محيي الدين بيري ريس في كتابه كل تجاربه للمناطق التي زارها عندما كان يعمل مع خاله كما ل ريس حيث يروي محيي الدين بيري ريس الأحداث التاريخية التي حصلت في ذلك الزمن بأسلوب واضح وسلس، ولاسيّما أن المعلومات التي أوردها مبنية على تجاربه الشخصية ودراسته الخاصة وكذلك على ما سمعه من الأشخاص في الأماكن التي زارها [٥٢]، بحيث اعتبر كتاب بحرية مرجعاً ودليلاً للملاحة البحرية[٥٣].

وج د لكتاب بحرية نسختان إ حد اهما أبسط قليلاً من الأخرى، الن سخة الأولى منظمة والأخرى ليست كذل ك[٥٤]. ضمّت النسخة الأولى مائة وثلاثين فصلاً، تطرق المؤل ف في كل فصل منها إلى موقع جغرافي معين ثم ختمه بخارطة توضيحية ؛ لأنه جعل كل فصل مستقلاً بمعلوماته عن الفصل الذي يليه، علما أن محيي الدين بيري ريس استخدم أسلوب التتابع الجغرافي للمواقع التي ذكرها ابتداءً من غاليبولي على طول سواحل البحر المتوسط [٥٥]، فضلاً عن أن محيي الدين بيري ريس أفرد صفحات من كتابه لوصف مصر وسواحلها ومعلومات مهمة وخرائط تبدأ من شواطئ السلوم وتنتهي عند غزة حيث يتحدث في اقسام خاصة عن كل مكان على حدة [٥٦].

أما النسخة الثانية من الكتاب فقد بدأ العمل بها بعد فترة عن كتابته للنسخة الأولى [٥٧]. وبتشجيع من الصدر الأعظم ابراهيم باشا الذي اكتشف أهمية كتاب محيي الدين بيري ريس أثناء الحملة التي قادها ابراهيم باشا ومحيي الدين بيري ريس إلى مصر، واستفادتهم من الكتاب في لحظات حرجة تعرضوا لها، مما شجّع ابراهيم باشا أن يقنع محيي الدين بيري ريس أن يجمع أوراق كتابه التي كانت مبعثرة ويعمل منها نسخة ثانية، وبعد أن أعاد ترتيبه ونسخه قدّم محيي الدين بيري ريس كتابه **بحرية** هدية للسلطان سليمان القانوني بمساعدة ابراهيم باشا في عام ٩٣٣ هـ / ١٥٢٦ م[٥٨]. وقد ذكر محيي الدين بيري ريس أن ابراهيم باشا ذكر للسلطان عن أهمية كتابي وقال له بأنه ذو نفع عظيم، وقد قدّم لي خدمة كبيرة ويعود إليه الفضل في شهرتي في هذا المجال[٥٩].

ولم يقتصر كتاب محيي الدين بيري ريس **(بحرية)** على ذكر المعلومات الجغرافية فحسب، بل وجدناه قد نبّه السلطان سليم ان القانوني إلى مخاطر تزايد النف وذ البرتغالي في المحيط الهندي والذي سيؤثر تأثيراً بالغاً وخطيراً على اقتصاد الدولة العثمانية، وسي ؤدي إلى

تحول التجارة العالمية إلى أيدي أعداء المسلمين ؛ لذلك وجب على ولاة أمر المسلمين التحرك لمعالجة هذا الأمر(٦٠).

ركّز محيي الدين بيري ريس في النسخة الثانية من كتابه على الخرائط بشكل كبير، بحيث وصل عددها إلى مائتين وعشرة خرائط، كما ضمّت هذه النسخة على مقدمة منظمة من خمسين فصلاً عالجت موضوعات شتى مما يحتاج إليه الملاحون كالخبرة والاستعداد الفطري لهذه المهنة، واستعمال البوصلة والخرائط والمعرفة بالجغرافيا الملاحية، وأورد في هذه النسخة أيضاً منابع النيل وزنجبار وبحر عدن والمحيط الهندي وبحر الصين والمحيط الأطلسي والاكتشافات البرتغالية وتوضح خطوط الزوال والعرض . ثم أنهى محيي الدين بيري ريس مقدمة كتابه بقصيدة طويلة أشبه ما تكون خاتمة مؤلفة من مائة بيت يعرض فيها الأسباب التي دعته إلى وضع النسخة الثانية للكتاب(٦١).

أثار **كتاب بحرية** دهشة وإعجاب الكثير من المؤرخين لدرجة أنهم شككوا في قدرات محيي الدين بيري ريس، وأن ما جاء به ما هو إلاّ اعتماداً أو نقلاً عن ما سبقوه، لاسيّما مقدمة كتابه التي فيها شبه في كثير من نقاطها برسائل أحمد بن ماجد ، أما خرائطه فإنها مقتبسة عن الخرائط الغربية وأنه ليس هناك من أثر للمادة العربية المعروفة في هذا المجال ؛ كون محيي الدين بيري ريس استفاد من المعلومات الشفوية التي جمعها من الملاحين البرتغاليين الذين عرفوا الصين، فأخذ عنهم هذه المعلومات وأضافها إلى كتابه، فضلاً عن ذلك أن معرفة محيي الدين بيري ريس باللغتين الأغريقية والإيطالية مكنته من جمع مادة كتابه حتى استطاع أن يخرجه في النهاية باللغة التركية(٦٢).

ربما يكون محيي الدين بيري ريس قد استفاد ممن سبقوه ومن جاء بعده، و لكن يجب أن لا ننسى أن معرفة محيي الدين بيري ريس البحرية وتجربته الشخصية كانت واضحة لمن يتصفح كتابه لأنه سيجد أثراً مستقلاً قائماً بذاته، وفريداً في نمطه في جميع الأدب التركي، وفي ذلك يقول حاجي خليفة الذي كان خبيراً في الجغرافيا الملاحية: ((أنه لم يدوّن بعده شيء شبيه به في هذا المضمار))(٦٣).

استمر محيي الدين بيري ريس بانجازاته البحرية وأبحاثه الملاحية، حيث كانت له سفينة عليها (١٠) بحارة و (١١) من الباحثين والعلماء الذين أجروا أبحاثاً على الأحياء البحرية في مكان خصص لهذا الأمر على تلك السفينة (٦٤)، وبذلك يكون محيي الدين بيري ريس أحد الجغرافيين الملاحين المسلمين الذين خدموا الجغرافيا البحرية العالمية خدمةً جليلةً بما تركه من إرث جغرافي هامّ عدَّ مرجعاً للجغرافيين يفيدون منه في دراساتهم الجغرافية منذ بداية عهده وإلى الآن.

الخاتمـة :

من خلال دراستنا عن انجازات أحد كبار قادة البحرية العثمانية، وإبراز جهود ه في الجغرافية البحرية، تبين أن الدولة العثمانية ل م تركز في نشاطها العسكري على الجانب البري فقط، وإنما على الجهاد البحري ضد الهجمات الاستعمارية، وخ ير دليل على ذلك بروز عدد من القادة البحريين كان محيي الدين بيري ريس أحد هؤلاء الذين تميزوا بجهاده م وخبرته م العلمية في الجغرافية، لاسيّما وهو يُقدّم أقدم وأدق خريطة كشفت العالم الجديد، فضلاً عن كتابه **(بحرية)** الذي اعتبر أطلساً جغرافياً مهماً لم ا قدمه من وصف دقيق لك ل نقطة وص ل إليها محيي الدين بيري ريس، على الرغم من وجود بعض من المؤرخين الذين حاولوا التشكيك في ص حة ما ذكره وقدّمه، لكن الدراسات والبحوث الحديثة جاءت لتثبت عكس ذلك، لاسيّما بعد المقارنة ا لتي أجرتها وحد ة الأقمار الصناعية أثناء رؤيتها لجزء من العالم ومقارنته على خريطة محيي الدين بيوي ريس، فاندهشت لدقة تحديد محيي الدين بيري ريس لكل ا لأجزاء التي وضعها للع الم على خريطته، لذلك يعد ما قدّمه محيي الدين بيري ريس انجازاً خدم علم الج غرافية البحرية وإرثاً مهماً دلّ على قدرات عالية ومعرفة واسعة فاقت ممن سبق وأعقب محيي الدين بيري ريس في هذا المجال، لذلك ليس من شك في أن تكون خريطة محيي الدين بيري ريس من أقدم الخرائط عن العالم الجديد.

هوامش البحث :

١. للمزيد عن اهتمام العثمانيين بعلم الجغرا فيا . ينظر : أحمد حامد ومصطفى محسن، توركي ة تاريخي، (استانبول، ١٩٢٦)، ص ص ٥٤٢ . ٥٤٣ .
٢. شبكة المعلومات الدولية (الأنترنيت) . www . ar . wikiPedia . Org
٣. محمد ثريا، سجل عثماني ياخوذ تذكرة مشاهير عثمانية، دردنجي جلد، (استانبول، ١٣٠٨ هـ)، ص ص ٤٤ ، ٢٣٩؛ مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مجلد ١، (بغداد، د . ت)، ص ٢٢٧ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، مجلد ٤، مادة (بيري محيي الدين ريس)، ص ٤٠٥ .
٤. عفت اينان، أمير البحر العثماني بيري ريس حياته وأعماله، ترجمة : عبد الرحمن الجيلالي، على موقع الأنترنيت www. Fustat.Com
٥. يلماز اوزوتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ج ١، ترجمة : عدنان محمود سلمان، (استانبول، ١٩٨٨)، ص ٣٣٣.

٦. أغناطيوس يوليانوفتش كراتشوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة : صلاح الدين عثمان هاشم، القسم الثاني (موسكو، ١٩٥٧)، ص ٥٨٨؛ دائرة المعارف، مجلد ٤، مادة (بيري محيي الدين ريس)، ص ٤٠٥ .

٧. ينظر:
Syidi Ali Reis, Mirat – Ŭl – Memalik, S.1; Afet inan, A. life and work of pire Reis: the oldest Map of America, Translated by: L. Yolac and E. Uzman (Ankara, 1973). P. 19؛ صالح اوزبران، الأتراك العثماني ون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤ . ١٥٨١، ترجمة: عبد الجبار ناجي، (بغداد ، ١٩٧٩)، ص ٤٧.

٨. وهو أحمد كمال الدين بك المعروف بـ كمال ريس وهو ابن قره مانلي علي، ويعد مؤسس البحرية العثمانية العالمية، قاد معارك الدولة العثمانية البحرية في غرب البحر المتوسط وشرقه، وتشير المصادر إلى أن السلطان بايزيد الثاني (١٤٨١ . ١٥١٢) كلّفه بمساعدة مسلمي الأندلس فكانت الحملة الأولى له عام ٨٩٣ هـ / ١٤٨٧ م ، توفي أثناء غرق سفينته بعد عودته من حملة على أسبانيا وكان ذلك بالقرب من غاليبولي في ١٦ شوال ٩٢٦ هـ / ١٥١١ م. ينظر عنه : كراتشوفسكي، المصدر السابق، ص ص ٥٨٨ . ٥٨٩ ؛ اوزتونا، المصدر السابق، ص ص ١٩٤ . ١٩٩. ومن الجدير بالذكر أن خير الدين بربروسا ذكر في مذكراته أن محيي الدين بيري ريس هو ابن أخت كما ريس، ينظر : مذكرات خير الدين بربروسا (الحلقة ٦١) على موقع الأنترنيت
www. Chihab. net .

٩. Efetinan , Op . Cit , PP . 11 , 56 ; Piri Reis على موقع الأنترنيت
www. biyografi. net ;
أنيس عبد الخالق محمود القيسي، النشاط البحري العثماني في البحر المتو سط خلال القرن السادس عشر، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب . جامعة بغداد، ٢٠٠٧، ص ٤٩ .

١٠. أُعدم بيري ريس نتيجة وشاية من والي البصرة قباذ باشا بعد حملته على مسقط وهرمز عام ١٥٥١ م وأتهم بأنه سحب قواته من حصار هرمز، وترك أسطوله في البصرة وعاد إلى السويس . ينظر : عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، ج ٤، (بغداد، ١٩٥٥)، ص ٦٩؛ الكسندر أداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة: هاشم صالح التكريتي، (البصرة، ١٩٨٩)، ج ٢، ص ٧٠.

١١. كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة : نبيه أمين فارس ومنير البعل بكي، ط ٧، (بيروت، ١٩٧٧)، ص ٤٨٤؛ محمد حرب، الدولة العثمانية في التاريخ والحضارة، (دمشق، ١٩٨٩)، ص ٣٨١ كيلاني، أمير البحر، موقع الأنترنيت www . Fustat Com

١٢. المسلمون وعلم الجغرافيا، على موقع الأنترنيت . www . albdoo . Com

13. Afetinan, A. life and work of pire Reisisthe oldest Map of America, Translated by: L. yolas and E. Uzmen (Ankara, 1974), P. 29.

١٤. يذكر البروفسور افتنان أن (٢٠) خارطة من هذه الخرائط غير مؤرخة، وأن (٨) أخرى منها رسمها المسلمون . ينظر : Afetinan Op. Cit, P. 27؛ نسيبة عبد العزيز عبد الله الحاج علاوى، الاتجاهات الإصلاحية في الدولة العثمانية ١٦٢٣ . ١٧٨٩، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب . جامعة الموصل، ٢٠٠٦، ص ١٩٣.

١٥. إحسان أوغلي، المصدر السابق، ص ٤٩٧ ؛ الحاج علاوى، المصدر السابق، ص ١٩٣.

١٦. دائرة المعارف، مجلد ٤، مادة (بيري محيي الدين ريس)، ص ٤٠٧؛

Abbas Hamdani ((Ottoman Response to the Discovery of America and the New Route to India)) ln Journal American Oriental Society, Vol. 101, Numbar 3, (Jordan, 1981), P.397؛

وديع أبو زيدون، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، (عمان، ٢٠٠٣)، ص١٣٠.

١٧. دائرة المعارف، مجلد ٤، مادة (بيري محيي الدين ريس)، ص ٤٠٧؛ كراتشوفسكي، المصدر السابق، ص ٥٩٥.

١٨. حرب، المصدر السابق، ص ٣٨١.

١٩. المصدر نفسه؛ Efetinan, Op. Cit. P. 39.

٢٠. إحسان أوغلي، المصدر السابق، ج٢، ص٢٥١؛ Efetinan, Op. Cit. P. 39.

٢١. إحسان أوغلي، المصدر السابق، ج٢، ص ٦٥١.

22. Efetinan, Op. Cit. P. 40.

٢٣. المسلمون وعلم الجغرافيا؛ Efetinan, Op. Cit. P. 67.

٢٤. كراتشوفسكي، المصدر السابق، ص ٥٩٥؛ بروكلمان، المصدر السابق، ص ٤٨٤.

٢٥. إحسان أوغلي، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٩٧.

٢٦. للتفاصيل عن ذلك، ينظر: كيلاني، المصدر السابق.

27. Efetinan, Op. Cit. P. 67.

٢٨. المسلمون وعلم الجغرافيا.

٢٩. ينظر: زهدي الفاتح، المسلمون والحرب الرابعة، ط١، (د. م، ١٩٦٩)، ص ص ٢٠٣، ٢٠٥.

٣٠. ينظر : معهد الصادق عفيفي، تطور الفكر العلمي عند المسلمين، القاهرة (القاهرة ، ١٩٧٧)، ص ٢٥٧.

٣١. المسلمون وعلم الجغرافيا، ص ١٣.

٣٢. المصدر نفسه.

٣٣. أريك فان، على موقع الأنترنيت www. biyografi. net.

٣٤. المصدر نفسه.

٣٥. إبراهيم اردنج شمونو، خريطة بيري ريس واكتشاف المسلمين لأمريكا، ترجمة: اورخان محمد علي، شبكة المعلومات الدولية (الأنترنيت) www. Islamon lin. Com

٣٦. شمونو، المصدر نفسه.

37. Hamdan, Op. Cit, P. 329.

٣٨. هذا الاسم مستعار لقبطان مسلم، لاسيّما أنه عاش في فترة كانت المذابح ضد مسل مي الأندلس على أشدها، لذا استخدم اسماً مستعاراً حتى أن بيري ريس لم يفشي سر هذا القبطان وأبقى على اسمه المستعار، وكذلك فعل كولومبس، وقد كتبت رودريكو ثلاث تقارير عن الرحلات الثلاث لكولومبس التي اشترك فيها شخصاً، ولا زالت تلك التقارير في حوزة الحكومة الترك ية التي تحتفظ بها في أرشيفها. ينظر: شمونو، المصدر السابق.

٣٩. حرب، المصدر السابق، ص ٣٨٢.

٤٠. شمونو، المصدر السابق.

٤١. المسلمون وعلم الجغرافيا؛ بيري ريس Piri Reis 1475 – 1554

htt P ; // www . Matokulu . Com / index Php.? option – Com Conteal and tast – View and id = 178 and Itemid = 126.

٤٢. حرب، المصدر السابق، ص ٣٨٣.

43. Efetinan, Op. Cit. P. 67.

٤٤. المسلمون وعلم الجغرافيا.

45. Piri Reis. 1470 – 1550.

٤٦. اينان، المصدر السابق، الأنترنيت؛ . Piri Reis. 1470 – 1550

٤٧. دائرة المعارف، مجلد ٤، مادة (بيري محيي الدين ريس)، ص ٤٠٦؛ في حين أن بيري ريس وسّع كتابه وأضاف إليه، وحينما أنهاه في عام ١٥٢٥ قدّمه للسلطان سليمان القانوني . ينظر : حرب، المصدر السابق، ص ٣٨٢.

48. Piri Reis. 1470 – 1550 .

٤٩. كراتشكوفسكي، المصدر السابق، ص ٥٩٠؛ Eftennan, op. cit, P. 15

٥٠. حرب، المصدر السابق، ص ٣٨٣.

٥١. محسن، المصدر السابق، ص ٥٤٣.

٥٢. ب. ج. سلوت، كتاب بيري ريس البحري وسلسلة الخمسة قرون من كتب جزر البحر الأبيض على موقع الأنترنيت. www. Fustat. Com

٥٣. اينان، المصدر السابق، (الأنترنيت).

٥٤. خليفة، المصدر السابق، ص٢٢٧.

٥٥. كراتشوفسكي، المصدر السابق، ص ٥٩٠.

٥٦. حرب، المصدر السابق، ص ص ٣٨٥ . ٣٨٦.

٥٧. كراتشكوفسكي، المصدر السابق، ص ٥٩٠.

٥٨. اينان، المصدر السابق، (الأنترنيت)؛ Eletinan, Op, Cit, PP. 15.

59. Eftenan, Op, Cit, P. 15.

٦٠. ينظر :

Bernard Lewis, The Emergence of Modern Turkey, (London, 1961), P. 27.

وعن امتداد النفوذ البرتغالي في المحيط الهندي. ينظر :

C. R. Boxerg Race Relations in the Portuguese colonial Empire 1415 – 1825 (London, 1963); W. H. Moreland and Atul chandya chatterjee, AHistory of India, (London , 1966), PP. 197 – 203.

٦١. كراتشكوفسكي، المصدر السابق، ص٥٩٠.

٦٢. كراتشلكوفسكي، المصدر السابق، ص٥٩٠.

٦٣. المصدر نفسه.

64. Efetinan, Op, Cit, PP. 14 – 15; Piri Reis 1470 - 1550, Op



الجزء المكتشف من خارطة محيي الدين بيري ريس
محفوظة في مكتبة طوب قابي باستانبول